

إيبارشيَّة سمالوط
محاضرات للإكليريكيين من إيبارشيَّة سمالوط الذين يدرسون
في الكليَّات الإكليريكيَّة في كل من القاهرة وأسيوط
الاثنين والثلاثاء ٢٣، ٢٤ يوليو سنة ٢٠١٨ م

التاريخ الليتورجي للطَّغَمات الكنسيَّة في التَّقليد القبطي

الرَّاهب القس أناسيوس المقاري

أولاً: أقدم المخطوطات والمطبوعات التي تحوي نصوص صلوات الرُّتب الكنسيَّة

ليس لدينا مخطوطات تعود إلى ما قبل القرن الرَّابع عشر الميلادي، تحوي نصوص صلوات رسامات الرُّتب الكنسيَّة. ولقد عثرتُ مؤخراً على مخطوط رقم (٨٧٧٤ شرفيَّات) بالمكتبة البريطانيَّة بلندن، ويعود تاريخ نساخته إلى سنة ١٣٠٢ م، وهو أقدم مخطوط معروف لديَّ حتى الآن، يحوي نصوص صلوات رسامة بعض الرُّتب الكنسيَّة، لأنه - مع الأسف - ناقص ومفقود منه كثير من ورقاته.

وكان **الدُّكتور بورمستر** O.H.E. Burmester (١٨٩٧-١٩٧٧ م) المعروف بأبحاثه في القبطيَّات، قد ذكر أن أقدم مخطوط معروف يحوي نصوص الرُّسَّامات، هو الحفوظ الآن في المتحف القبطي بالقاهرة تحت رقم (طقس ٢٥٣ / سميكه ١٤٢) وهو يعود إلى سنة ١٣٦٤ م أي النِّصف الثَّاني من القرن الرَّابع عشر الميلادي^(١). ويحوي شروحات في الهوامش، تأخذ شكل تعليمات شخصيَّة للقائم بطقس الرُّسامة.

إلا أنني عثرتُ في أواخر السَّبْعينيَّات من القرن العشرين، على مخطوط للرُّسَّامات الكنسيَّة، أقدم من الذي ذكره بورمستر O.H.E. Burmester بحوالي ٣٠ سنة، وهو برقم (١ طقس). بمكتبة دير القديس أنبا أنطونيوس بالصَّحراء الشَّرقيَّة، وهو مخطوط يعود تاريخه إلى سنة ١٠٥٠ ش / ١٣٣٣ م.

أمَّا **روفائيل الطُّوخي** (١٧٠٣-١٧٨٧ م)، فكان هو أوَّل من سجَّل نصوص وطقوس الرُّسَّامات في كتاب مطبوع في روما، وذلك في سنة ١٧٦١ م. فقبل النِّصف الثَّاني من القرن الثَّامن عشر الميلادي، لم يكن في مصر كتاب مطبوع لطقوس الرُّسَّامات.

ثانياً: ما تذكره قُدَّاساتنا القبطيَّة عن الطَّغَمات أو الرُّتب الكنسيَّة

بادئ ذي بدء، أوردُ فيما يلي ما تذكره قُدَّاساتنا القبطيَّة الثلاثة - سواءً في نصوصها القديمة أو الحاليَّة - فيما يختص بالطَّغَمات أو الرُّتب الكنسيَّة. فنجد ما يلي:

في **القُدَّاس الباسيلي في نصِّه اليوناني**، يأتي ذكر **البطريرك**، **(الأساقفة الأرثوذكسيين)**، و**القسوس** الأرثوذكسيين، وكل **الشَّمامسة**، و**الخُدَّام**، وكل الذين في البتوليَّة، وكل شعب الله المؤمن^(٢). وهي أربع رُتب كنسيَّة (إلى جانب الخُدَّام!).

1- Ms. 253 Lit., Coptic Museum, Old Cairo (1080 A.M. = 1364 A.D).

٢- وذلك طبقاً لمخطوط رقم (يوناني ٣٢٥) بالمكتبة الأهلبيَّة بباريس، ويعود إلى القرن الرَّابع عشر الميلادي، وهو وارد من دير القديس أنبا مقار بربيَّة شيهيت. أمَّا مخطوط رقم (طقس ١٥٥) من مكتبة نفس الدَّير المذكور، والذي يعود إلى القرن النَّاسع عشر الميلادي، فيضيف هو وحده تعبير "الأساقفة الأرثوذكسيين" وذلك في الثَّلاث أواسي الكبار تحديداً.

وفي القُدَّاس الباسيلي في نصّه الحالي، يأتي ذكر **البطريك، والأسقف، والقمامصة، والقسوس، والشمامسة، والإيودياكونين**. وهي ست رُتب كنسيّة، وبعدها يضيف الشّماس بقوله: (و)^(٣) سبع طغعات كنيسة الله^(٤).

وفي القُدَّاس الغريغوري في نصّيه القديم والحالي، يأتي ذكر **البطريك، والأساقفة، والقمامصة، والقسوس، والشمامسة، والإيودياكونين**. وهي ست رُتب كنسيّة. وعند هذا الحد يضيف مرد الشّماس: (و)^(٣) سبع طغعات كنيسة الله^(٤)، كما سبق ذكره في القُدَّاس الباسيلي الحالي. ثم يقول الكاهن: ”**والأغنسطسين، والمرتلين**“. فارتفع العدد إلى ثماني رُتب كنسيّة، بحسب الرُتب المعروفة لدينا اليوم، ويُكمّل الكاهن بقوله: ”**والقرّائين (المعزّمين)، والرهبان، والعداري، والأرامل، والأيتام، والمنتسكين، والعلمانيّين**“^(٥) ... إلخ“.

وفي القُدَّاس المرقسي في نصّيه القديم والحالي، يأتي ذكر **البطريك، والأساقفة، والقمامصة، والقسوس، والشمامسة، والإيودياكونين، والأغنسطسين، والمرتلين**، وهي ثماني رُتب كنسيّة، إلى جانب (المعزّمين)، والرهبان، والعداري، والأرامل، والأيتام، والنُسّاك، والعلمانيّين، والمتّحدين بالزّيجة، ومرّبي الأولاد، الذين قالوا لنا اذكرونا والذين لم يقولوا، الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم، أعداءنا وأحباءنا، اللّهم ارحمهم^(٦).

فنخلص إلى القول، بأنه:
لم يرد ذكر واضح للسبع رُتب الكنسيّة.
كما أنّه لم يرد ذكر رُتبة **الإبصالتيس** في القُدَّاس الباسيلي، سواء في نصّه القديم أو الحالي.
كما أنّ رُتبة **القُمّص** لم ترد في الثلاثة قُدّاسات القبطيّة في نصّها القديم.
بالإضافة إلى أنّ رُتبة **الأرشيدياكون** لم ترد في الثلاثة قُدّاسات سواء في نصّها القديم أو الحالي.

ثالثاً: موضوع البحث

• في الألفيّة الأولى للميلاد

عرّفت كنيسة الإسكندريّة – كغيرها من الكنائس – خلال القرنين الأوّل والثاني للميلاد، ثلاث رُتب كنسيّة، هي **الأسقف والقس والشّماس**.

ومع حلول القرن الثالث الميلادي، صار لدى كنيسة الإسكندريّة خمس رُتب كنسيّة، هي **الأسقف والقس والشّماس والإيودياكون والأغنسطس**، وهو ما نقرأه في كتاب ”التقليد الرسولي“ لهيبوليتس، الذي دوّن قبل سنة ٢٣٥م والذي حُفظ في كنيسة الإسكندريّة دون سواها من الكنائس باسم ”التّرتيب الكنسي المصري“، بالإضافة إلى ذكره للمعترفين، والأرامل والعداري والعلمانيّين.

ونعرف من خولاجي القديس سراييون الذي دوّن سنة ٣٥٠م، أنّ هذه الرُتب الكنسيّة الخمس السّابق ذكرها، ظلّت معروفة في الكنيسة حتى القرن الرابع الميلادي، حيث يرد في الخولاجي المذكور ذكر رُتب **الأسقف والقس والشّمامسة والإيودياكونين والأغنسطسين**، إلى جانب ذكره أيضاً للمفسّرين، والمتوحّدين، والبتوليّين، والمتزوجين، والأطفال، وكلّ

٣- حرف العطف (و) لم يرد في النّص اليوناني للمرد.

٤- تعبير: ”سبع طغعات كنيسة الله“ هو تعبير غير معروف في قُدّاساتنا القبطيّة في نصوصها القديمة، أي قبل القرن الرابع عشر الميلادي.

٥- كل ما ورد ذكره من رُتب كنسيّة في هذه الفقرة، قد ورد في النّص اليوناني للقُدَّاس الغريغوري طبقاً لمخطوط رقم (يوناني ٣٢٥) بالمكتبة الأهلّيّة بباريس، وهو يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي، باستثناء كلمة ”القمامصة“، حيث لم ترد هذه الكلمة في هذا المخطوط.

٦- كل ما ورد ذكره من رُتب كنسيّة في هذه الفقرة، قد ورد في النّص القبطي الصّعدي للقُدَّاس الكيرلسي. بمخطوط الدّير الأبيض بسوهاج، والذي يعود إلى نهاية القرن العاشر الميلادي، باستثناء القرّائين أي المعزّمين. كما وردت نفس هذه الرُتب الكنسيّة في النّص اليوناني للقُدَّاس الكيرلسي طبقاً لمخطوط كسمارسك، والذي يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي، باستثناء كلمة ”القمامصة“.

الشَّعب. وبالإجمال يُطلَب نباحاً لكلِّ خُدَّام الكنيسة. ولا ينبغي أن تُغفل أنَّ حولاجي القُدَّيس سراييون - بحسب تحقيق علماء اللِّيُتورجيا - هو مجموعة صلوات مِصريَّة قديمة، سابقة على زمن القُدَّيس سراييون نفسه.

وهذه الرُّتب الكنسيَّة الخمس السَّابق ذكرها، هي بعينها التي نقرأ عنها في قوانين هيبوليتس القبطيَّة، وهي القوانين التي دُوِّنت في كنيسة الإسكندريَّة في أوائل القرن السَّادس الميلادي، حيث تذكر هذه القوانين، **الأسقف والقس والشَّمَّاس والإيوديَّاكون والأغنسطس**، إلى جانب ذكرها للمتبتِّلين والعداري والأرامل ومن لهم مواهب شفاء.

وحدير بالذَّكر هنا، أنه منذ زمن البابا أنثاسيوس الرُّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) عَرَفنا بوضوح في كنيسة الإسكندريَّة، رُتبة **الأرشيديَّاكون، أي رئيس الشَّمَّامسة**، حيث كان البابا أنثاسيوس الرُّسولي رئيساً للشَّمَّامسة قبل اعتلائه كُرسي الإسكندريَّة. وهي الرُّتبة التي ظلَّت معروفة في كنيسة الإسكندريَّة من بعده أيضاً، لأنَّه في نهاية القرن الخامس الميلادي، نقرأ في قوانين البابا أنثاسيوس الثَّاني (٤٨٩-٤٩٦م)، عن رُتبة **الأرشيديَّاكون** في القانون رقم (١٠٦) من هذه القوانين، فيذكر في طقس رفع بخور عشية وباكر والقُدَّاس، أنَّ **الأرشيديَّاكون** يأخذ مجمرة بيده، ويملاها جمرًا، ويقف قُدَّام المذبح ويرفع البخور أمام الإنجيل المقدَّس، حتى تتم قراءته. وبعد انتهاء قراءة الإنجيل المقدَّس، يحمل أحد الشَّمَّامسة الإنجيل أمام رئيس الشَّمَّامسة، ويختر رئيس الشَّمَّامسة أمام الإنجيل المقدَّس، ثمَّ يدخلون به إلى الهيكل.

ولكن من جهة أخرى، وبحسب المؤرِّخ سوزومين (أوائل القرن الخامس الميلادي)، نعرف أنَّ رئيس شَمَّامسة كنيسة الإسكندريَّة هو الذي يقرأ فصل الإنجيل المقدَّس. ممَّا يرحِّح معه أن تطوَّراً قد طرأ على الطَّقس في هذه الجزئيَّة.

وفي نهاية نفس هذا القرن الخامس الميلادي، عَرَفت كنيسة الإسكندريَّة أيضاً رُبتي **الإبصالتيس (المرتل) والبواب**. ففي القانون (٤:١٠) من قوانين البابا أنثاسيوس الثَّاني (٤٨٩-٤٩٦م) نقرأ: ”الحكمة دَعَّمت بيتها بسبعة أعمدة، وبسبع أرواح الله الكاملة في البيعة، الذين هم **الأساقفة والقسوس والشَّمَّامسة والنَّصف شَمَّامسة (الإيوديَّاكونين) والأغنسطسين (القارئين) والمرتلين والبوابين**، هؤلاء الذين دعاهم زكريا سبع أعين الله“^(٧).

ولدعم الرُّتب الكنسيَّة باعتبارها **سبع** رُتب فقط - برغم تجاهل رُتبة الأرشيديَّاكون!! - يخاطب نفس هذا القانون (١٠:٦، ٨) **الأسقف** قائلاً: ”فهل علمت الآن أيها الأسقف أن البيعة ليست ثابتة عليك وحدك، بل بالسَّت رُتب الأخرى التي لها. فلا ترفضوهم ولا تحتقروهم بل مجدوهم لأنهم شركاؤكم والخُدَّام معكم. لأنَّ الرأس لا تستطيع أن تقول للرَّجلين لا حاجة لي إليكما، فالرأس التي ليست تحتها رجلٌ تكون كلُّها رجلٌ، وهكذا إذا احتقر الأسقف **البواب**، أو الشَّمَّاس، أو **المرتل**، فإنه لا يستطيع أن يعمل طقوسهم. فكيف يُقدَّس ويحرس الأبواب؟ أو كيف يرتل ويناول السَّرائر؟ فكما أنَّ الصَّرورة للرأس، كذلك فالحاجة داعية إلى الرَّجلين ... وأنتم أيضاً يا **سبع** عيون الله، اخدموا خدمتكم جيداً، كلُّ واحد وواحد كرُتبته **من الأسقف إلى البواب**“.

والرُّتب الكنسيَّة التي وردت في قوانين البابا أنثاسيوس الثَّاني (٤٨٩-٤٩٦م)، هي نفس الرُّتب الكنسيَّة التي نجدُها أيضاً في القوانين الكنسيَّة المِصريَّة المنسوبة للقُدَّيس باسيليوس الكبير، والتي تعود إلى نفس القرن الخامس الميلادي، فقد ورد فيها ذكر رُتبة **البواب** غير مرَّة تحت اسم ”**القيِّم**“ أو في صيغة الجمع ”**القومة**“، حيث يرد ذكرهم دائماً مع **الأغنسطسين والمرتلين**^(٨).

٧- وهنا لا ذكر لرُتبة الأرشيديَّاكون، برغم أنَّ نفس هذه القوانين تذكر ما يقوم به من ممارسات طقسيَّة أثناء قراءة فصل الإنجيل المقدَّس كما سبق أن ذكرتُ منذ قليل. والسَّبب في ذلك هو أنَّ هذه القوانين تنقل من مصادر غير قبطيَّة، كمحاولات مبكرة لجعل الرُّتب الكنسيَّة سبع رُتب فقط، مع الاستعانة بأيات كتابيَّة، لتدعيم هذا الرِّقم. ولكن التَّاريخ اللِّيُتورجي لكنيسة الإسكندريَّة، بخصوص الرُّتب الكنسيَّة بها، لم يدعم هذه الإرهافات الأولى لاستخدام الرِّقم سبعة، وذلك حتى القرن الرَّابع عشر الميلادي. ولكن في ذات الوقت لا ينبغي أن تُغفل أن هذه الرُّتب السَّبع المذكورة في المتن، هي نفس الرُّتب التي ورد ذكرها في القانون الرَّابع لجمع ترولو سنة ٦٩٢م. وسوف أعود إلى هذه الجزئيَّة مرَّة أخرى.

٨- انظر للمؤلف: ”مِصريَّة القوانين الكنسيَّة المنسوبة للقُدَّيس باسيليوس الكبير“، القوانين أرقام ٤٨، ٥٤، ٥٥

إنَّ ما تذكره قوانين البابا أثناسيوس الثاني (٤٨٩-٤٩٦م)، وأيضاً القوانين الكنسيَّة المصريَّة المنسوبة للقديس باسيليوس الكبير، بخصوص **رتبتي الإبصالتيس والبواب**، في القرن الخامس الميلادي، هو تأثير مبكر وافد على التَّقليد القبطي الذي لم يعرف ممارسة فعلية - أي طقسية - لهاتين الرُتبَتين، حتى إلى القرن الرابع عشر الميلادي على أقل تقدير. وسوف أناقش هذه الجزئية مرَّة أُخرى في نهاية البحث.

وفي القرن السابع الميلادي، دخل لقب **”بطريك“** في الليتورجية القبطية في زمن البابا بنيامين الأوَّل (٦٢٣-٦٦٢م)، لأنه قبل ذلك التاريخ، ومنذ زمن البابا كيرلس الأوَّل عامود الدين (٤١٢-٤٤٤م) في القرن الخامس الميلادي، كان البطريك يُلقب في الليتورجيا باسم **”رئيس الأساقفة“**. وهكذا أضيف إلى الرُتب الكنسيَّة السَّابق ذكرها رُتبة أُخرى، هي رُتبة البطريك أو رئيس الأساقفة.

ولقد استمر الحال في كنيسة الإسكندرية خلال الألفية الأولى للميلاد، على ما سبق ذكره من رُتب كنسيَّة، باستثناء أي ممارسة واضحة لرُبتي **الإبصالتيس والبواب**. وعند هذا الحد من حديثنا ينبغي أن نعرف أنه لا ذكر **للمرأة الشماسة** في التَّقليد القبطي، لأنه حتى القرن العاشر الميلادي على أقل تقدير، لم يكن هناك أيُّ أثر لوجود الشماسة المرأة في الكنيسة القبطية.

• في الألفية الثانية للميلاد

مع بداية الألفية الثانية للميلاد وحلول القرون الوسطى، ارتفع عدد الرُتب الكنسيَّة إلى تسع رُتب، حيث عُرفت رُتبة **المطران** في القرن الثاني عشر الميلادي^(٩)، كما عُرفت أيضاً رُتبة **القُمص**، بينما سرعان ما توارت رُبتي **الإبصالتيس والبواب**.

والرُتب الكنسيَّة التي عرفتها كنيسة الإسكندرية في القرون الوسطى، نقرأها في كتاب **”ترتيب الكهنوت“**^(١٠)، المنسوب خطأً إلى الأنبا ساويرس بن المقفع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) - وهو في الحقيقة كتاب يعود إلى القرون الوسطى - فنقرأ عن رُتب: (١) **البطريك**. (٢) **المطران**. (٣) **الأسقف**. (٤) **الإيغومانوس (القُمص)**. (٥) **القس**. (٦) **الأرشيدياكون**. (٧) **الشماس**. (٨) **الإيودياكون**. (٩) **الأغنسطس**.

ولا ينبغي أن نُغفل أن كتاب **”ترتيب الكهنوت“** لم يتكلَّم عن رُتبة **الإبصالتيس**، بينما يتكلَّم عن **”قيم البيعة“** وهو **”البواب“**، وعن أهميَّة عمله في الكنيسة، وذلك في الباب السابع عشر منه، ولكنَّه لا يعتبره ضمن الرُتب الكنسيَّة.

ولكي يدعم كتاب **”ترتيب الكهنوت“** الرِّقم تسعة، باعتباره عدد الرُتب الكنسيَّة، يتكلَّم الكتاب المذكور في الباب السادس عشر منه، عن أمور طقسية بعد طقس دورة البُخور حول المذبح، بعد صلاة الشُّكر، وذلك في صلوات رفع البُخور في عشية وباكراً، فيقول:

”وإذا فرغ الأب البطريك (من) الثلاث صلوات؛ السَّلام والآباء والجماعة، يُسلِّم الجمره لأرشي الأساقفة، أو الكبير الحاضر، أسقفًا كان أو قسيساً، ويدعه يقول، إن كان عشية، فصلاة المضجعين، وإن كان باكراً، صلاة المرضى، على العادة المستمرة. ثمَّ أنَّ الكبير الحاضر الذي تسلم الجمره من البطريك بعد فراغ صلاته، يدور الهيكل بالبُخور، ثمَّ ينزل برجله اليسرى قبل اليمنى - لأنَّ اليمنى للطلوع، واليسرى للنزول - ويختر الهيكل من برا ثلاثة أيادي، والأخيرة مثال الصليب المجيد من الشُّرق إلى الغرب، ثلاث دفع، صاروا تسعة.

والعلة في أهم تسعة أيادي، هي أن كلَّ يد عن طغمة أرضية، صاروا تسعة، يُقدِّمهم الكاهن للبطريك، ليُقدِّمهم للرَّب،

٩- أول مطران في الكنيسة القبطية هو الأنبا ميخائيل مطران دمياط في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي.

١٠- ساويرس ابن المقفع (الأنبا)، كتاب ترتيب الكهنوت، كتيب قدم لليتورجية الكنيسة القبطية، تحقيق يوليوس أسفلج Julius Assfalg، مطبوعات مركز الدراسات الشرقيَّة لحراسة الأراضي المقدسة، القاهرة ١٩٥٥م.

ويطلب الأب (البطريك) من الرب في قلوبهم، لأنَّ البطريك رأس الطَّعْمة الأرضيَّة، التي هي عديدة أن تصير موضع ساطانائيل في الطَّعْمة السَّمائيَّة! لأنَّ فيها كان الشيطان ملاكُ الحُسن، يُقدِّم التَّسبيح للرب. لأنَّ هذه الطَّعْمة الأرضيَّة عديدة أن تكون قريبة من الربِّ سبحانه، أكثر من الطَّعْمة العُلويَّة!! والأب البطريك رئيسها، يُقدِّمون له البُخور **تسعة أيادي** على ما تقدم الشَّرْح ...“^(١١).

وبرغم تكرار كتاب ”ترتيب الكهنوت“ للرَّقم **تسعة**، على أنَّه يشير إلى طغمة الكنيسة الأرضيَّة، من خلال الممارسة الفعلية للطَّقس، كما في طقس رفع البُخور أمام الهيكل، أو في طقس تقديم البُخور للأب البطريك، إلاَّ أنَّه يحاول أن يعدها **سبع** طغمة وليس **تسعة**، ليفرض الرِّقم **سبعة**، فتورط في الشَّرْح، وأربك مفاهيم كانت معروفة في الكنيسة منذ البداية، لأننا نعرف يقيناً أنَّ مذبج الكنيسة هو مذبج ناطقٌ سمائيٌّ، والهيكل، هو السَّماء، محلُّ سُكنى الله في بيته. والمعموديَّة تحوي بالصَّلَاة ماءً حياً، يلد بنين لله. ولكن الكتاب المذكور يقول في الباب الأوَّل منه – وهو عن ”الكنيسة وما يتعلق بها“ – ما يلي:

”... ثمَّ أنَّ هذا البيت أيضاً يُسمَّى كنيسة، أي كائنة، يجتمع فيه عدَّة فنون ومعان: أحدهما المعموديَّة المقدَّسة، وثانيها الهيكل المقدَّس، وثالثها المغطس، ورابعها مطهرة الخميس الكبير، وخامسها الأنبل، وسادسها مجمع القدَّس، وسابعها وجود القناديل وبيض التَّعام بينهم. هؤلاء **السَّبع معاني الخسوسة**، ميَّنة غير حيَّة ولا ناطقة!!

ثمَّ يتلوها **سبع معاني حيَّة متحرِّكة ناطقة**، وهم أشخاص البشريَّة: **أولهم الأغنسطس**، ثمَّ **الإيودياكون**، ثمَّ **الشَّماس**، ثمَّ **الأرشيدياكون**، ثمَّ **القسيس**، ثمَّ **الإيغومانس**، ثمَّ **البطريك أو المطران أو الأسقف**، لأنَّ **الثلاثة هم واحد**^(١٢). هؤلاء **السَّبعة** الناطقين، غير أولئك **السَّبعة الميَّنة**! وقد علَّق باب الكنيسة على **الأربعة عشر** (عاموداً)، وهم **سبعة** ميَّنة غير ناطقة، و**سبعة** حيَّة ناطقة على ما تقدَّم بيانه“^(١٣).

إذاً؛ فبغض النَّظَر عمَّا شرَّحه كتاب ”ترتيب الكهنوت“ لتطويع الرُّتب الكنسيَّة إلى **سبع طغمة فقط**، ففي الحقيقة ظلَّت الرُّتب الكنسيَّة **خمس رُتب فقط** بحسب الطَّقس القديم كما سبق أن ذكرت. وهذه الرُّتب الكنسيَّة الخمس صارت هي نفسها **تسع رُتب**، بعد أن صارت رُتبة الأسقفية، تحوي فيها كلاً من البطريك والمطران والأسقف. كما أنَّ رُتبة الشَّماسية صارت تحوي فيها كلاً من الشَّماس ورئيس الشَّماسية. وأيضاً رُتبة القسيسية صارت تحوي فيها كلاً من القس والقُصص. وهكذا؛ حتى العُصور الوُسطى، أي حتى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر للميلاد، عرَّفت الكنيسة القبطية **خمس رُتب كنسيَّة**، أو **تسع رُتب كنسيَّة**، ولكن ليس **سبع رُتب كنسيَّة**، وليس من بين هذه **التَّسع رُتب الكنسيَّة**، رُتبي **الإبصالتيس والبواب**، واللَّتين لم يكن لهما أيَّة ممارسة طقسية أي من داخل الطَّقس.

وهذه **التَّسع رُتب الكنسيَّة**، هي نفس الرُّتب التي نجدُها عند ابن سباع في القرن الثالث عشر الميلادي، وذلك في الباب السَّادس والسَّتين من كتابه ”الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة“، وهو بعنوان: ”في ذكر تبخير رئيس الكهنة **تسعة أيادي**“، فيقول^(١٤):

”ويخَّر (الكاهن) الهيكل ثلاث دُفعات، كلُّ دفعة ثلاث أيادي، **تسع أيادي**. ثمَّ لرئيس الكهنة **تسع**، على عدد مراتب **الملائكة التَّسع ... إلخ**“. وهنا يظل الرِّقم **تسعة** وليس **سبعة**، حيث ينسب ابن سباع الرِّقم **تسعة** إلى الطَّغمة السَّمائيَّة، وبدون ذكر الرُّتب الكنسيَّة في هذا الباب السَّادس والسَّتين.

١١- الأنبا ساويرس بن المقفَّع، كتاب ترتيب الكهنوت، مرجع سابق، ص ٤١، ٤٢

١٢- لكي يجعل العدد سبعة، اعتبر البطريك والمطران والأسقف هم رُتبة كنسيَّة واحدة، وهي رُتبة الأسقفية. في حين لم يعتبر ذلك فيما يختص برتبي القسيسية والشَّماسية. ذلك لأنَّ القسيس والقُصص هما في رُتبة القسيسية. كما أنَّ الشَّماس ورئيس الشَّماسية هما في رُتبة الشَّماسية. فانظر كيف بدأ تطويع كلِّ شيء في الكنيسة ليخدم الرِّقم سبعة، منذ هذه القرون الوُسطى. حتى طال هذا الرِّقم عدد الأسرار الكنسيَّة أيضاً في القرن الخامس عشر الميلادي.

١٣- الأنبا ساويرس بن المقفَّع، كتاب ترتيب الكهنوت، مرجع سابق، ص ٤

١٤- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حقَّقه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسي، مؤلَّفات المركز الفرنسيِّسكاني للدراسات الشرقيَّة المسيحيَّة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٩٣

وحين يتكلم ابن سباع عن الطَّغَمَاتِ الأَرْضِيَّةِ، يذكر **تسع طغَمَات**، وذلك في سبعة أبواب^(١٥) من كتابه المذكور، كما يلي:

(١) الأَغْنَسْطُس. (٢) الإيودياكون. (٣) الشَّمَّاس. (٤) الأَرشِيدياكون. (٥) القَسَّيس. (٦) الإيغومائس. (٧) الأَسْقَف. (٨) المَطْران. (٩) البَطْرِيك.

وهذا التَّقْسِيمُ الأخير الذي يذكره ابن سباع عن **تسع طغَمَات كنيسة الله**، هو بعينه ما سبق أن ذَكَرَهُ كتاب "ترتيب الكهنوت".

ولكي يُفْلَسَ ابن سباع الرُّتَبِ الكنسيَّةِ من **تسع رُتَب** إلى **سبع رُتَب** فقط، جعل من رُتَبِ البَطْرِيكِ والمَطْرانِ والأَسْقَفِ رُتَبَةً واحدة، كما سبق أن ذَكَرَ كتاب "ترتيب الكهنوت". ثمَّ يناقض نفسه بنفسه، حين يذكر في البَابِ السَّادِسِ والسَّتِينِ أَنَّ عدد الطَّغَمَاتِ الملائكيَّةِ هم **تسع طغَمَات**، ثمَّ يجعلهم **سبع طغَمَات فقط** في البَابِ الثَّامِنِ والعَشْرِينَ، وهو بعنوان: "في ذكر خُدَّامِ الكنيسة على طقوسهم ومراتبهم"، فيقول ما يلي:

"وإنَّ هذه الخدمة تحتاج إلى خُدَّامِ كهنة ورؤساء كهنة، ومراتب على أشباه السَّمَائِيِّينَ، لأنَّ الطُّقُوسَ السَّمَائِيَّةَ عدَّة مراتب و**عَدَّتْهم سبعة**. وذلك أنَّ أَوَّلَ السَّبْعَةِ، الملائكة، ورؤساء الملائكة، ثمَّ الرؤساء، ثمَّ المسلِّطينَ، ثمَّ الكراسي، ثمَّ الأرباب، ثمَّ القوَّات. وكذلك طغَمَات رُتَبِ الكنيسة الأَرْضِيَّةِ، التي هي نظير أورشليم السَّمَائِيَّةِ، ينبغي أن يكون لها مراتب **سبع طغَمَات** نظير ذلك. وهُمُ **الأَغْنَسْطُس، والإيودياكون، والشَّمَّاس الذي هو الخادم، والأَرشِيدياكون، والقَس الكاهن، والإيغومائس، والبَطْرِيك أو الأَسْقَف أو المَطْران**، لأنَّ الثلاثة واحد"^(١٦).

ولأنَّ الرِّقْمَ **سبعة** بدأ يأخذ اهتماماً أكبر من أيِّ رقمٍ آخر للرُّتَبِ الكنسيَّةِ، سواء كان **خمسة** أو **تسعة**، فنجد ابن سباع، يُقدِّم لنا تقسيماً آخر للطَّغَمَاتِ الكنيسة، بخلاف الذي ذَكَرَهُ من قبل، لكي يطوِّع عددها إلى **سبع رُتَب** فقط. فأغفل ذَكَرَ رُتَبَةَ **الأَرشِيدياكون**، واعتبر **رُتَبَتِي الأَسْقَف والمَطْران** رُتَبَتَيْنِ وليس رُتَبَةً واحدة، ولكن تكريسهم واحد. وفصلَ رُتَبَةَ **البَطْرِيك** عن هذه الرُّتَبِ السَّبْعِ معتبراً إياه رأس الطَّغَمَاتِ الأَرْضِيَّةِ. فصار العدد **سبعة**، يرأسهم البَطْرِيك!!^(١٧).

أي أنَّ السَّبْعَ رُتَبِ الكنيسة عند ابن سباع صارت: (١) الأَغْنَسْطُس، (٢) الإيودياكون، (٣) الشَّمَّاس، (٤) القَس، (٥) القُمُص، (٦) الأَسْقَف، (٧) المَطْران. وأخرج البَطْرِيك من التَّرتيب، معتبراً إياه رأس الطَّغَمَات!!

وفي نهاية البَابِ التَّاسِعِ والسَّبْعِينَ من كتابه، يقول ما نصُّه: "تمَّ تكريس السَّبْعِ طغَمَاتِ الكهنوتيَّةِ الهيكلية التي تنبأ عنها سُلَيْمان الحكيم وقال: الحكمة بنت لها بيتاً، ونصبت فيه سبعة عُمُد. عني بالحكمة كلمة الله الابن الأزلي، والبيت معشر المؤمنين، والسَّبْعِ عُمُد التي تدعّمه هي هذه السَّبْعِ رُتَبِ التي تقدّم ذكرها وتكريسها، الذين دَعَمُوا البيت بالوصايا الإنجيلية والتعاليم الإلهية..."^(١٨). ثمَّ يخصُّص البَابَ الثَّمَانِينَ، لتكريس البَطْرِيك. أي أنَّه في الحقيقة، قد ذكر **ثماني رُتَب كنسيَّة**، مغفلاً رُتَبَةَ **الأَرشِيدياكون**.

وهكذا دارت المحاولات، منذ العُصور الوُسطى، لتضَبُّ كُلُّها في مسار واحد، هو تقليص عدد الرُّتَبِ الكنسيَّةِ من **خمسة** أو **تسع رُتَب** بحسب تقليد قديم في الكنيسة دام حتى القرن الثالث عشر الميلادي، بشهادة الممارسة الطَّقْسيَّةِ في صلوات رفع البُخور في ذلك الوقت، إلى **سبع رُتَب فقط**، لكي يسود تقليد آخر لم يكن واضح المعالم، ولم يجد له ممارسة طقسية فعلية في الكنيسة القبطية حتى ذلك الوقت.

١٥- بدءاً من البَابِ الخامس والأربعين وهو بعنوان: "في ذكر الأَغْنَسْطُس وشرح اسمه"، وحتى البَابِ الحادي والخمسين منه، وهو بعنوان: "في ذكر البَطْرِيك والمَطْران والأَسْقَف وتمييز البَطْرِيك عليهم".

١٦- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٦٧.

١٧- وهو ما نقرأه في البَابِ الرَّابِعِ والسَّبْعِينَ وحتى التَّاسِعِ والسَّبْعِينَ من كتاب "الجوهرة النّفيسة ... إلخ".

١٨- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٣١، ٢٣٢.

وعلى سبيل المثال، وبعد أن صرنا تحت نير الرِّقْم سبعة، يذكر الدكتور بورمستر O.H.E. Burmester المعروف بأبحاثه في القبطيات، تقسيماً آخر للرُّتب الكنسيّة، فيقول بأنه عثر على مخطوط يعود إلى العُصور الوُسطى، يذكر السَّبع طغيمات كالآتي: **قارئ، إيوودياكون، دياكون (شمّاس)، قسيس، قمّص، رئيس شمامسة، أسقف** (١٩).

وواضح هنا مرّةً أخرى، كيف حاولت كتابات العُصور الوُسطى، تقليص عدد الرُّتب الكنسيّة من تسعة إلى سبعة، فحدث ارتباك ملحوظ، إذ أغفلت هذه الكتابات ذكر **رُتبتي المطران والبطريك**، واعتبرتهما ضمن رُتبة **الأسقفية** - كما في التَّقسيم السَّابق ذكره - في حين أنّها لم تفعل ذلك، حين اعتبرت أنّ **القسيس والقمّص** هما رُبتان في الكنيسة، برغم أنّهما يندرجان تحت درجة كنسيّة واحدة، هي **القسيسيّة**، ونفس الأمر مع رُتبة **الشمّاسيّة** التي يندرج تحتها **الديّاكون والأرشيديّاكون**.

ولسبب التّركيز على الرِّقْم سبعة، ليكون هو محور كلِّ شيء، تحوّل الاهتمام بتطويع أيّ شيء، ليخدم هذا الرِّقْم أو مضاعفاته، فارتبكت كثيرٌ من الأمور الطَّقسيّة، ليس في عدد الرُّتب الكنسيّة فحسب، بل في جوانب كنسيّة أخرى كثيرة. فزحف الرِّقْم سبعة أو مضاعفاته على كلِّ شيء في الكنيسة، سواء على عدد طغمتها، أو على عدد أعيادها السَّيدية، أو على عدد أواني الخدمة المستخدمة في الهيكل المقدّس (٢٠)، أو على عدد قطع ملابس الخدمة الكهنوتيّة للأسقف (٢١)، ... إلخ، حتى طال عدد أسرار الكنيسة في القرن الخامس عشر الميلادي، فحجّمها إلى سبعة أسرار.

وبرغم كلِّ ما سبق ذكره، يعود المؤرّخ ألفريد بتلر A. Butler (١٨٥٠-١٩٣٦م) فيتكلّم عن تسع رُتب كنسيّة في الكنيسة القبطيّة في أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين للميلاد، فيقول: "تعرّف الكنيسة القبطيّة حالياً بالرُّتب الكهنوتيّة التّالية في تدرُّج مراتب النّظام الكنسي: **البطريك، المطران، الأسقف، رئيس الكهنة أو القمّص، القس، الأرشيديّاكون، الشمّاس، القارئ**. ومن الرُّتب الواضحة كذلك رُتبة **مساعد الشمّاس (الإيوودياكون)**، وموقعه يلي الشمّاس مباشرة (٢٢). ولكن رُتبته ليس لها اسم محدّد في الحديث الشّائع. ويضاف إلى هذه الرُّتب، رُتبة الرّاهب. وتذكر التّعليمات المدوّنة كذلك رُتبة **المرتل، و(رُتبة) البوّاب** ضمن رُتب الكنيسة بالرّغم من أنّ هذين الأخيرين لا يُكرّسان بيد الأسقف" (٢٣).

أي أنّ الرُّتب الكنسيّة التي يذكرها بتلر عن الكنيسة القبطيّة في أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين للميلاد، هي: **البطريك، المطران، الأسقف، رئيس الكهنة أو القمّص، القس، رئيس الشمّامسة، الشمّاس، مساعد الشمّاس، القارئ**.

وهو نفسه أيضاً التّقسيم الذي تعرفه الكنيسة البيزنطيّة حتى اليوم، كما يذكر كتاب "الإفخولوجيون الكبير" (٢٤).

19- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967, p. 154.

٢٠- يذكر كتاب "ترتيب البيعة" أنّ الأواني المستخدمة في الهيكل، عددها أربعة عشرة. سبعة منها يتم تكريسها بالميرون، وسبعة لا تُكرّس. والسبعة التي يتم تكريسها هي: **اللوح المقدّس**، وهو مثال القبر. و**الصينيّة** مثال المذود. ومن اللّفاتف المكرّسة **لثافتين**، واحدة تحت الصّينيّة، والأخرى تحت الكأس، وهي نظير اللّفاتف في الموت والدّفن، والمقفوف بما حسد سيّدنا في المذود. و**الكأس مكرّس** مثال قسط المن. و**الملعقة** مكرّسة برسم التّوزيع للنّاس الرّجال والنّساء، لأنهم لا يتناولون من الكأس نظير الكهنة. و**الإبروسفارين** مكرّس نظير الحجر الذي دُرج عن القبر فوق الجسد المدفون.

وأما السبعة غير المكرّسة، فهي: **المنارة، والكوز، والطّاسة، والجمرة، ودُرج الثُّخور، والحامل الذي يوضع عليه الكأس، والصليب**. و**قبة الهيكل** مرفوعة على أربعة عشر عاموداً (لاحظ أنّها مضاعفات الرِّقْم سبعة).

الأبنا ساويرس بن المقفّع، كتاب ترتيب الكهنوت، مرجع سابق، ص ١٥

٢١- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ١٧٥؛ ألفريد ج. بتلر، مرجع سابق، ص ٩١، ١٠٠، ... إلخ.

٢٢- لاحظ هنا، أنّ عند هذا الحد يصل عدد الرُّتب المذكورة إلى تسع رُتب، وهو نفس ما يذكره كتاب "ترتيب الكهنوت"، مروراً بكتاب "الرُّتب الكنسيّة"، الذي يعود إلى أواخر القرن الخامس، والمنسوب - خطأً - إلى ديونيسيوس الأريوباغي.

٢٣- ألفريد ج. بتلر، الكنائس القبطيّة القديمة في مصر، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، الجزء الثّاني، ١٩٩٣م، ص ٢٣٥

٢٤- كتاب الإفخولوجي الكبير، عني بتعريبه عن اليونانيّة والسلافيّة، وتنسيقه وتبويبه، الأسقف رافائيل هوايني، وأذن بنشره وأنفق على طبعة ثانية، متروبوليت نيويورك وسائر أمريكا الشماليّة، أنطونيوس بشير، بيروت، ١٩٥٥م، ص ٢٣٥-٢٦١

• غياب الإبصلمُدس (الإبصالتيس) والبواب، كرتبتين كنسيتين لم يعرفهما التقليد القبطي إلا نادراً

سبق أن ذكرت أن قوانين البابا أناسيوس بطريرك الإسكندرية، والقوانين الكنسية المصرية المنسوبة للقديس باسيليوس الكبير، تورده سبع رتب كنسية، حيث يرد فيهما ذكر رتبة **المرتل**، ويعقبها رتبة **البواب**، وهي الرتبة السابعة.

ولعل قوانين البابا أناسيوس بطريرك الإسكندرية، والقوانين الكنسية المصرية المنسوبة للقديس باسيليوس الكبير، قد نقلت من قوانين مجمع اللاذقية (٣٤١-٣٨١م!)^(٢٥) ما يختص بمائتين الرتبتين، ضمن الرتب الكنسية فيها. أو نقلت من مصدر كنسي آخر، لأن التقليد السرياني القديم، وتقليد كنيسة روما، يعرفان **رتبتي المرتل والبواب**، كرتب كنسية مستقلة، أي رتب كنسية قائمة بذاتها^(٢٦).

ولا ينبغي أن نغفل أن ابن كبر (١٣٢٤م+) يتكلم في كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"، عن **البطريرك، والأسقف، والقمص، والقس، ورئيس الشماسة، والشماس، والإيودياكون، والأغنسطس، والإبصالتيس، والبواب (والذي يسميه القيم)**. وحيث تغيب رتبة **المطران** هنا، فيصعب تحديد عدد طغيمات الكنيسة عند ابن كبر (١٣٢٤م+).

ولو تذكرنا ما سبق أن ذكره المؤرخ الإنجليزي ألفريد بتلر (انظر ص ٧)، وقارناه بما يذكره الآن ابن كبر (١٣٢٤م+)، يتضح لنا أن ابن كبر ربما يتكلم عن تعليمات مدونة فقط بخصوص رتبتي **المرتل والبواب**، ولا وجود لهما في الطقس الفعلي الممارس. ذلك لأن معظم المصادر الطقسية القديمة - خلافاً لما سبق ذكره - لا نجد فيها ذكراً لرتبتي **الإبصالتيس أو الإبصلمُدس والبواب** ضمن رتب الكنيسة. ذلك لأنه إن ظل ذكر **البواب** قائماً تحت اسم "القيم"، لكن لم يُعد رتبة كنسية. كما أن رتبة **الإبصالتيس (المرتل)** لم يرد ذكرها في معظم المصادر القبطية القديمة.

بالإضافة إلى أن كل المخطوطات الكثيرة التي اضطلعت عليها بخصوص الرتب الكنسية، لم يرد فيها ذكر **الإبصالتيس** سوى في أربعة مخطوطات منها فقط^(٢٧)، تعود إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد. وحتى هذه المخطوطات الأربعة، لم تذكر **الإبصالتيس**، في موقعه الصحيح من الرتب الكنسية الأخرى، أي بجوار رتبة **الأغنسطس (القارئ)**، بل ورد ذكره في مكان بعيد عن الرتب الكنسية. ولا زال الطقس القبطي الحالي يراعي هذا التقليد القديم، إذ بعد رسامة **الأغنسطس** وتناوله من الأسرار المقدسة، يقرأ عليه **الأرشيدياكون** وصية بدايتها: "يا بني، هذه أول درجة مقدسة^(٢٨) دخلت إليها ... إلخ".

وفي السطور القادمة، سأتكلم عن رتبة **الإبصالتيس** كرتبة كنسية غير شائعة في الكنيسة القبطية، ثم عن رتبة **البواب** كرتبة كنسية مندثرة في الكنيسة القبطية.

رتبة الإبصالتيس كرتبة كنسية غير شائعة في الكنيسة القبطية

إن التقليد القبطي القديم - شأنه في ذلك شأن التقليد البيزنطي حتى اليوم - وإن كان يعرف المرتلين أي الإبصلمدنيين في الكنيسة، إلا أنهم لم يكونوا رتبة كنسية مستقلة. أي رتبة كنسية قائمة بذاتها في الممارسة الطقسية الفعلية في الكنيسة، مثل باقي الرتب الكنسية الأخرى. بل كانت رتبة **الأغنسطس** أي القارئ، تحوي فيها خدمتي القراءة والترتيل معاً. وهو ما نراه حتى اليوم في الطقس البيزنطي أيضاً.

٢٥- أحد التواريخ التي أعطيت لوقت انعقاد هذا المجمع هو نهاية القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس للميلاد. وعن رتبتي الإبصالتيس والبواب في هذا المجمع، انظر القوانين ١٥، ٢٣، ٢٤، برغم أن هذا المجمع يعطي للإيودياكون مسؤولية أبواب الكنيسة (انظر القانونين ٢٢، ٤٣).

٢٦- انظر للمؤلف: "مصرية القوانين الكنسية المنسوبة للقديس باسيليوس الكبير"، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

٢٧- وهي: "مخطوط أنبا أنطونيوس برقم (١ طقس)" تاريخه ١٣٣٣م، و"مخطوط لندن (٨٧٧٤ شرقيات)" وتاريخه ١٣٠٢م، و"مخطوط باريس (٩٨ قبطي)"، وتاريخه ١٤١١م، و"مخطوط مصباح الظلمة لابن كبر"، وتاريخه ١٣٦٣-١٣٦٩م.

٢٨- الكلمة القبطية هي **ΙΕΡΑΤΙΟΝ** وأصلها في اليونانية **ΙΕΡΑΤΕΙΟΝ** (يراتيون) أي "قُدس أو مُقدَّس". وعربتها مخطوطاتنا إلى كلمة "الإراديون". ولكن بعض مخطوطاتنا الأخرى أوردتها بطريق الخطأ **ΙΕΡΑΤΙΚΟΝ** (يراتيكون) والتي تعني "خدمة كهنوتية priest's office". ومن ثم فقد تُرجمت العبارة الموجودة في المتن في بعض المخطوطات إلى: "يا بني هذه أول درجات الكهنوت التي دخلت إليها ... إلخ".

وواضح هنا، أن رتبة **الأغنسطس** هي أول الرتب الكنسية وليست رتبة **الإبصالتيس**.

وأما الدليل الواضح على ذلك الأمر في الطَّقس القبطي القديم وحتى القرون الوسطى، فهو ما يذكره كتاب ”ترتيب الكهنوت“، حينما يتكلَّم عن **الأغنسطس**، فينسب له قراءة فصول من العتيقة، بالإضافة إلى ترتيب المزمور، وترتيب قوانين التَّسريح الختامية بعد انتهاء الصَّلوات، والتي تُقال أثناء تقبيل الصَّليب^(٢٩)، ومشاركة المرتلين في ترتيبهم فيما يرتلوه^(٣٠). فواضح هنا أن عمل **الأغنسطس** في التَّقليد القبطي كان يشمل قراءة الفصول من العتيقة أو الرِّسائل، مع خدمة التَّرتيل أيضاً.

والذي يتفهَّم جيداً هذا الأمر، لا يعسُر عليه فهم ما يذكره ابن سباع في كتابه ”الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة“، حين لا يتحدَّث عن رتبة **المرتل** كرتبة كنسيَّة مستقلة. بالإضافة إلى أن ما يذكره ابن كبر (١٣٢٤م) في كتابه ”مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة“، وأيضاً ما يذكره مخطوط رقم (قبطي ٩٨) بالمكتبة الأهلبيَّة بباريس (١٤١١م) ... إلخ، يتكلَّمون عن **الإبصالييس** أي **المرتل**، ويخلطون بينه وبين **الأغنسطس**.

أما المؤرِّخ الإنجليزي ألفريد بتلر A. Butler (١٨٥٠-١٩٣٦م)، فحين كان يتكلَّم عن الرِّسامات الكنسيَّة في الكنيسة القبطيَّة في أواخر القرن التَّاسع عشر الميلادي، فيتكلَّم عن رسامة **الأغنسطس** حيث يقصُّ الأسقف جزءاً من شعر رأسه، ويقول بتلر: ”ولا توجد في القوانين الكنسيَّة القبطيَّة أيَّة أشكال أخرى لقص شعر الرأس بالنسبة لأية رتبة أخرى ... ولا يُسمح للقارئ أو مساعد الشَّماس الإيوديَّاكون أو **المرتل الإبصالييس** بدخول الهيكل ولكنَّهم يتناولون من القربان المقدَّس قبل الشَّعب. أما **المرتل الإبصالييس** فيرشمه الأسقف بعلامة الصَّليب ويباركه، وذلك بدون وضع اليد“^(٣١).

فهو بذلك يورد حديثاً عارضاً عن رسامة **الإبصالييس** في معرض حديثه عن رسامة **الأغنسطس**. وهو نفس ما نجده عند الرُّوم الأرثوذكس، حيث يعرف الطَّقس البيزنطي رتبة **الأغنسطس** و**الإيوديَّاكون** و**الدِّيَّاكون** و**الأرشيدياكون**، و**القس** و**الإيغومانس**، و**الأسقف**. و**لكنه لا يعرف رتبتي **المرتل** و**البواب كرتبتين كنسيَّتين مستقلَّتين****^(٣٢). فهو يعتبر أن **الأغنسطس** هو **القارئ أو **المرتل**** في الكنيسة. وفي التَّنبهات الطَّقسِيَّة البيزنطيَّة للرِّسامة، نقرأ: ”أعلم أنَّه إذا كان المصيرِّ أناغنسطساً، مزماً أن يكون مرتلاً ... وإذا كان المتقدِّمون إلى هذه الوظيفة كثيرين، فيصيرون كلُّهم معاً، ويُتلى عليهم الإفشين بصيغة الجمع ... إلخ“^(٣٣).

والكنيسة الوحيدة التي حفظت في تقليدها القديم صلاة بركة تُقال في رسامة **الإبصالييس**، هي الكنيسة السريانيَّة. وهو ما بدأ يظهر في الكنيسة القبطيَّة في بعض مخطوطات ما بعد القرن الثالث عشر، أو الرَّابع عشر للميلاد.

ومن ثمَّ؛ كان هناك تقليدان في كنيسة الإسكندريَّة، واحد لا يعرف رتبة **الإبصالييس**، ولاسيَّما في كنائس صعيد مصر، والآخر بدأ يعرفها مع حلول الألفيَّة الثانية للميلاد، وخصوصاً في كنائس الوجه البحري ومصر القديمة. ذلك لأنَّ رتبة **المرتل** منذ ذلك الوقت صار لها صلواتها اللَّيتورجيَّة الخاصَّة بها، والتي وردت عند ابن كبر (١٣٢٤م)، كما وردت أيضاً في مخطوط رقم (شرفيات ٨٧٧٤) بالمكتبة البريطانيَّة بلندن (تاريخه ١٣٠٢م)، وأيضاً في مخطوط رقم (قبطي ٩٨) بالمكتبة الأهلبيَّة بباريس (تاريخه ١٤١١م)^(٣٤)، بالإضافة إلى ذكر هذه الرتبة في القُدَّاسين الغريغوري والكيرلسي. أمَّا ذكر هذه الرتبة في قوانين البابا أثناسيوس الثاني (٤٨٩-٤٩٦م) بطريرك الإسكندريَّة، والقوانين الكنسيَّة المنسوبة للقُدَّيس باسيليوس الكبير في القرن الخامس الميلادي، فالأرجح أنَّها كانت نقلاً عن مصادر كنسيَّة غير قبطيَّة.

٢٩- لشرح موسَّع لهذه التُّقطة، يُرجى الرُّجوع إلى كتاب ”صلوات رفع الخُور في عشية وياكر“ للمؤلِّف.

٣٠- الأنبا ساويرس بن المقفع، كتاب ترتيب الكهنوت، مرجع سابق، ص ٣٨

٣١- ألفريد ج. بتلر، مرجع سابق، ص ٢٤٩

٣٢- اسطفان الدَّويهي (بطريرك أنطاكية وسائر المشرق)، منارة الأقداس، بيروت، ١٨٩٥م، ص ٢٠٩

٣٣- كتاب الإفخولوجيون الكبير، مرجع سابق، ص ٢٣٦

٣٤- يتكلَّم هذا المخطوط عن رتبة يدعوها: كبير المرتلين.

رُتْبَةُ الْبُؤَابِ كَرُتْبَةِ كَنِسِيَّةٍ مَنَدَثْرَةٍ فِي الْكَنِيسَةِ الْقِبْطِيَّةِ

إن كانت رُتْبَةُ الْبُؤَابِ أَوْ الْقِيَمِ قد سقط ذكرها كليَّةً الآن من كنيسة الإسكندرية وأنطاكية، كَرُتْبَةِ كَنِسِيَّةٍ، إلا أنها لا زالت معروفة حتى اليوم في الكنيسة الأرمنيَّة وحدها بين كافة الكنائس الشَّرْقِيَّة الأخرى، بالإضافة إلى رُتْبَتِي الْمَعْرَمِ وَالْمَسَاعِدِ (الإبيودياكون)، وهما أيضاً من الرُّتْبِ الكَنِسِيَّةِ الْقَدِيْمَةِ فِي الْكَنِائِسِ الشَّرْقِيَّةِ. وقد كانت رُتْبَةُ الْبُؤَابِ معروفة أيضاً من قبل، في التَّقْلِيدِ الرُّومَانِي، وهو التَّقْلِيدِ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ الْأَرْمَنُ طَقُوسَ الرِّسَامَاتِ الْكَنِسِيَّةِ^(٣٥).

واجبات "قيَمِ الكنيسة" في كتاب "ترتيب الكهنوت"

يتحدَّثُ الْكِتَابُ الْمَذْكُورُ فِي الْفَصْلِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْهُ عَنِ الْقِيَمِ، وَصِفَاتِهِ وَوَأَجَابَاتِهِ، فَيَقُولُ فِي ذَلِكَ^(٣٦):

"... أَمَّا الْقِيَمِ (القائم) بخدمة البيعة، فينبغي أن يكون حَسَنَ السِّيَرَةِ، غَيْرَ وَقَّاعٍ بِلِسَانِهِ، حَرِيصاً عَلَى عَرْضِهِ، لَا يُكْثِرُ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ لِأَجْلِ ضَرُورَاتِ الْبَيْعَةِ. بَلْ يَسْتَفِيقُ عَلَى نَفْسِهِ، مَدَاماً خَدَمَةَ الْبَيْعَةِ، مَلَازماً الْكَنْسَ وَالنَّظَافَةَ، وَغَسَلَ الْقِنَادِيلَ وَتَعْمِيرَهَا. وَيَكُونُ عِنْدَهُ فِي الْبَيْعَةِ زَنَاداً، حَتَّى لَا يَدْخُلَ بِنَارٍ غَرِيبَةٍ إِلَى الْبَيْعَةِ.

وَالْاجْتِهَادَ فِي عَجْنِ الْقُرْبَانَ مِنْ أَفْخَرِ الدَّقِيقِ وَأَنْفَاهُ. وَحَرِيقِ الْفَحْمِ مِنَ الْكِرْمَةِ الْيَابِسِ. وَلَا يَدْعُ أَحَداً يَبِيتُ فِي الْكَنِيسَةِ، وَلَا يَأْكُلُ فِيهَا، لِأَنَّهَا بَيْتُ صَلَاةٍ وَاسْتِغْفَارٍ. وَيَكُونُ عَفِيفاً، مَتَزَوِجاً. وَيَحْتَرِزُ فِي عَجْنِ الْقُرْبَانَ مِنْ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ طَاهِرٍ. وَيَدْعُو الْقَسِيسَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْمَزَامِيرَ الدَّاوُودِيَّةَ حَالَ عَجْنِهِ الْقُرْبَانَ. وَيَحْتَرِزُ فِي عَجْنِهِ أَنْ يَكُونَ قَواماً جَيِّداً فِي قَوامِ الْإِعْتِدَالِ. وَيَحْتَرِزُ عَلَى تَنْظِيفِ أَوَانِي الْعَجِينِ، مِثْلَ الْفُرْشِ، وَالْغَطَاءِ، وَأَنْبِيَةِ الْعَجِينِ، وَمِنْخَلِ الدَّقِيقِ، وَأَخْتَامِ الْقُرْبَانَ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِضَافاً إِلَى حِفْظِ أَبْوَابِ الْبَيْعَةِ حَالَ الصَّلَاةِ وَالْقُدَّاسِ، مِنْ أَنْ يَعْزِزَ مَمْنُوعٌ أَوْ مَخَالَفٌ، أَوْ ذَنْبٌ خَاطِئٌ مِنْ غَيْرِ (أَهْلِ الْإِيمَانِ، أَوْ حَيوانٌ مِثْلَ كَلْبٍ نَجَسٍ، أَوْ حِمَارٍ سَائِبٍ. وَلِيَنْهَضَ بِتَدْبِيرِ شُغْلِ الْبَيْعَةِ قَبْلَ وَقْتِ الصَّلَاةِ. وَلَا يَعْمَلُ شُغْلاً مِنْ أَشْغَالِ الْبَيْعَةِ حَالَ الصَّلَاةِ، لِئَلَّا يَبْدُدَ عَقْلَ الْمَصَلِّينِ. وَلِيَشَارِكَ الْمَصَلِّينَ فِي الصَّلَاةِ الْجَامِعَةِ، لِأَنَّهُ نَفْسٌ مِثْلَ نَفْسِهِمْ، يَسْتَمِطِرُ الرَّحْمَةَ مِنَ اللَّهِ. وَلَا يَظُنُّ فِي نَفْسِهِ أَنَّ شُغْلَهُ فِي الْكَنِيسَةِ صَلَاةٌ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ (صَلَاةً)، وَالشُّغْلَ شُغْلاً. وَرَبِّمًا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْ شُغْلِ خَدَمَتِهِ قَوتاً جَسْمَانِيّاً، وَلَا يَقُومُ شُغْلَ الْبَيْعَةِ مَقَامَ الصَّلَاةِ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ مَا يَقُومُ مَقَامَهَا فِي غَيْرِهَا إِلَّا هِيَ.

وَلَهُ عَلَى قَسُوسِ الْبَيْعَةِ مَا يَقُومُ بِأَوَدِهِ مِنْ مَالِ الْبَيْعَةِ. وَفِي كُلِّ عِيدٍ مَا يُعْمَعُ عَلَيْهِ بِهِ الدَّاخِلُونَ إِلَى الْبَيْعَةِ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّاسِ وَأَعْيَانِهِمْ. وَلَهُ أَجْرَةٌ مِثْلُ الْعَمُودِيَّةِ عَلَى وَالِدِ الْمُتَعَمِّدِ. وَلَهُ أَجْرَةٌ وَقُودِ الْكَنِيسَةِ فِي الْأَكَالِيلِ. وَلَهُ (أَجْرَةٌ) أَيْضاً فِي تَكَالِيفِ الْجَنَازَةِ، حَالَ دَفْنِ الْمَيِّتِ. وَلَهُ أَجْرَةٌ حَرِيقِ الْقُرْبَانَ، لِكُلِّ مَنْ يَهْتَمُّ بِعَمَلِ الْقُرْبَانَ عَنْ نَفْسِهِ. وَلَهُ فَتْحُ بَابِ الْبَيْعَةِ فِي الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ، لِلْمَحْتِاجِ إِلَيْهَا. وَإِنْ خَدَمَ الْبَيْعَةَ كَمَا يَجِبُ بِنِظَافَةٍ وَطَهْرٍ، فَإِنَّ الَّذِي هِيَ عَلَى اسْمِهِ، يَعْتَنِي بِهِ. وَإِنْ كَانَ رَجُلًا سَوءاً، وَأَكَلَ شَيْئاً نَفِخاً، فَإِنَّهُ يُلْقَى فِي الْجَحِيمِ الَّذِي لَا يُسْأَلُ عَنْهُ فِيهِ. وَأَنَّهُ يُحَاسِبُ عَلَى كُلِّ مَا يُفْرَطُ فِي الْكَنِيسَةِ، حَتَّى إِلَى فِتِيلَةِ مِشَاقَةِ السَّرَاجِ، إِذَا أَخَذَهَا مِنَ الْكَنِيسَةِ. فَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ".

واجبات "قيَمِ الكنيسة" عند يوحنا بن سباع

سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ أَنَّ ابْنَ سَبَاعٍ لَمْ يَتَحَدَّثْ عَنْ رُتْبَةِ الْمَرْتَلِ كَرُتْبَةِ كَنِسِيَّةٍ مُسْتَقَلَّةٍ، وَلَكِنَّهُ حِينَ يَتَحَدَّثُ عَنْ "قِيَمِ الْكَنِيسَةِ"، لَا يَحْسِبُهُ ضَمْنَ الرُّتْبِ الْكَنِسِيَّةِ، وَهُوَ نَفْسُ مَا نَجَدُهُ فِي كِتَابِ "تَرْتِيبِ الْكَهَنُوتِ". فَيَتَحَدَّثُ ابْنُ سَبَاعٍ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالْخَمْسِينَ مِنْ كِتَابِهِ "الْجَوْهَرَةُ النَفِيسَةُ فِي عُلُومِ الْكَنِيسَةِ" عَنْ "الْقِيَمِ"، فَيَقُولُ مَا يَلِي:

"وَأَمَّا رُتْبَةُ الْقِيَمِ، فَإِنَّ عَلَيْهِ حِفْظَ أَبْوَابِ الْبَيْعَةِ، وَإِسْرَاجِ الْقِنَادِيلِ، وَكَنْسِ الْبَيْعَةِ خِلالَ الْمِهْيَكْلِ، وَعَجْنِ الْقُرْبَانَ، وَتَلَاوَةِ

٣٥- الأب هنري دالميس الدومنيكي، الطُّقُوسُ الشَّرْقِيَّةُ، المعهد الكاثوليكي بالعادي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٤٥

٣٦- الأنبا ساويرس بن المقفع، كتاب ترتيب الكهنوت، مرجع سابق، ص ٤٣، ٤٤ مع إضافة الهمزة والشدة والتاء المربوطة. وتصحيح الأخطاء النحوية.

المزامير لداود حال عجين القربان، والاهتمام بالغرباء والواردين على البيعة“^(٣٧).

حكاية عن قيّم كنيسة أبي سرجه بمصر القديمة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي

ومن تاريخ الكنيسة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، نقرأ عن قيّم كنيسة أبي سرجه بمصر القديمة، في زمن حبريّة البابا ميخائيل الرابع (١٠٩٢-١١٠٢م)، وكيف امتنع عن عمل القربان الذي أمره البابا أن يعمل، لأنه رأى في ذلك مخالفة لقوانين الكنيسة! فيقول كتاب ”تاريخ البطاركة“، ما يلي:

”كان الأب البطريرك مقيماً في كنيسة السيّدة العذراء المعلقة، فمكث عدّة أيام ينتظر قدوم أنبا سنهوت (أي شنوده)، فلم يحضر^(٣٨)، ولا وجده الأب البطريرك. فلمّا كان في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر بشنس^(٣٩)، أن أنبا ميخائيل قدّم له (أي لقيّم الكنيسة) دقيقاً كثيراً، وأمره أن يعمل ”ذورون“ (أي قربان)، ليكون جاهزاً يوم الأحد، وأن يُعلّم الكهنة بأنه سيقدّس في الكنيسة في ذلك اليوم. وذكر أنّه ينوي أن يجعلها مقراً بطريكياً. وأوصاه أن يقول للأراخنة والشعب: ”أنا أسقّفكم، وما أبرح من عندكم“، (وذلك) بحكم ما حدّثته به نفسه. فقلتُ (أي القيّم): ’هذا ما لا يتم علينا، ولا نقبله، ولا صبر لنا على أسقّفنا إلاّ بجرم واضح، توجب القوانين عليه فيه الحكم...!‘.

٣٧- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ١٥٦

٣٨- أنبا سنهوت هو أسقف القاهرة في ذلك الوقت. ويذكر كتاب سير البيعة، أنه كانت بينه وبين الأب البطريرك مشكلة، وكان البطريرك يداوم منعه بمخالفات يختلقها له، ويُشرّده عن كرسيه، ويُبعده عن كنائسه... إلخ.

٣٩- وهو يوافق الجمعة ٢٣ مايو ١٠٩٦م / ٢٨ بشنس ٨١٢ ش.